بنية المحظورات في السيرة الذاتية النسوية

دراسة في الخطاب النقدي الثقافي

الباحثة: ندا حسن محمد حسن

كلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة السويس

ملخص البحث:

المحظورات بأنواعها المختلفة داخل المجتمع جزء لا يتجزأ من كل ثقافة، حيث تشكل الحدود الأخلاقية والاجتماعية التي يتم من خلالها تنظيم السلوكيات لكل فرد، هذه المحظورات ليست مجرد قيود طارئة، بل هي مكونات جوهرية تعبر عن القيم والأعراف الأساسية للمجتمعات، وتعكس تفاعلاتها الديناميكية وتحولاتها الثقافية عبر الزمن. ويناقش هذا البحث مفهوم المحظور بشكل عام من خلال تسليط الضوء على ثلاث محظورات أساسية لكل من (فدوي طوقان) (نوال السعداوي)، (رضوى عاشور)، داخل المجتمع من خلال المنهج الثقافي، وقد قُسم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول، جاءت على النحو التالي: وقد قسمت الفصول كالآتي:

الفصل الأول: بنية المحظورات الاجتماعية.

الفصل الثاني: بنية المحظورات الدينية.

الفصل الثالث: بنية المحظورات الثقافية.

الفصل الرابع: البناء الفني للسيرة الذاتية النسوية.

ارتكزت الخاتمة على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

الكلمات المفتاحية: (المحظور– السيرة الذاتية النسوية – محظورات اجتماعية – دوافع السيرة الذاتية)

Abstract:

Social taboos of various kinds are an integral part of every culture, forming the moral and social boundaries that govern individual behaviors within societies. These prohibitions are not merely temporary constraints but are essential components that express the fundamental values and norms of societies, reflecting their dynamic interactions and cultural transformations over time. This research discusses the concept of taboos in general by focusing on and selecting three fundamental taboos within society through a cultural approach. The research is divided into an introduction and four chapters, as follows:

Chapter One: The Structure of Social Taboos.
Chapter Two: The Structure of Religious Taboos.
Chapter Three: The Structure of Cultural Taboos.
Chapter Four: The Artistic Construction of Feminist Autobiography.

The conclusion is based on the most important findings obtained from the research.

Keywords: (Taboos –Feminist Autobiography – Social taboos – Biography motives).

الهدف من البحث:

١– الوقوف على آليات السرد السيري النسوي للتعرف على أهم خصائصه من جهة بنية المحظورات.

٢ – إعادة بناء وهيكلة العقد السيري النسوي من داخل بنية المحظورات من أجل إقامة علاقة عادلة بين المرأة والثقافة والمجتمع.

٣– الكشف عن المحظورات والتابوهات من داخل السير الذاتية النسوية.

٤– السعي في تكوين رؤية عادلة موضوعية تحقق عنصري الشمول والعمق لبنية المحظورات.

٥– الرصد المتبصر للمسكوت عنه من خلال القراءة النقدية الثقافية للعينات المختارة من السير الذاتية النسوية العربية.

كما يهدف هذا البحث إلى استكشاف كيف تُسهم السير الذاتية النسوية في النظر إلى الثقافة الذكورية وكشف الطبقات المتعددة للمحظور في الثقافة العربية، من خلال المنهج النقدي الثقافي لنصوصهن، نحاول فهم كيف استخدمت هذه الكاتبات الكتابة الذاتية كفعل مقاومة وتأكيد للهوية في مواجهة التحديات الاجتماعية والثقافية.

أهمية البحث:

تتلخص أهمية البحث في تسليط الضوء على الدور الذي تلعبه السيرة الذاتية في الحديث عن المسكوت عنه وإصدار وسيلة أدبية واقعية تعبر أصوات وتجارب محظورة وغير مسموعة، ويتميز هذا البحث بعدة جوانب تجعل ضروريًا ومؤثرًا في الدراسات الأدبية والثقافية، من بينها التركيز على التجارب النسائية التي تتعرض للتهميش والتجاهل في الأدب من خلال دراسة السيرة الذاتية النسوية،

دراسة تأثير المحظور الثقافي والاجتماعي في الهوية الذاتية النسوية، وكيف واجهت النساء تلك المحظورات وتجاوزنها.

المنهج وإجراءاته:

سيعتمد هذا البحث على المنهج النقدي الثقافي معتمدًا على تقنيات التحليل الموضوعي والفني لعينات السير الذاتية لكل من فدوي طوقان ورضوى عاشور ونوال السعداوي، من خلال انتقاء بعض النصوص المختارة بدقة شديدة.

وبهذا إطار، يسعي بحثنا إلى فهم المحظور الاجتماعي والثقافي والديني من خلال كتابات المرأة العربية خاصة في فن السيرة الذاتية، لإعادة النظر في المفاهيم السائدة والمحظورات الكامنة في أعماق الثقافة الجمعية.

المقدمة:

تعد السيرة الذاتية من أكثر الأجناس الأدبية قدرةً على التعبير عن الأفكار المسكوت عنها والأمور المحظورة، خصوصًا في مجتمعات تُغلب عليها طبيعة الحياء والتحفظ، وعندما تكتب المرأة سيرتها الذاتية، فإنها تتحدى كثيرًا من القيود الاجتماعية والثقافية المفروضة، وتفتح الباب للنظر إلي المفاهيم المسيطرة علي المجموعة والمحظورات الضاربة في جذور الثقافة، في هذا البحث، نسلط الضوء على تجارب ثلاث كاتبات بارزات في العالم العربي، وهن (فدوى طوقان، رضوى عاشور، ونوال السعداوي)، لنكشف كيف تناولن في سردياتهن الذاتية قضايا مثل المجتمع، الأنوثة، العادات والتقاليد، والمحظورات الاجتماعية من خلال تسليط الضوء علي وجهة نظرهن في المجتمع، وكيف تمردن على السلطات الأبوية والاجتماعية.

تعكس كِتابات هؤلاء الكَاتبات جرأة في طرح ومناقشة ما هو محظور ومتجاهل في المجتمعات التي عشن فيها وكتبن من خلالها، ففدوى طوقان، التي نشأت في

مجتمع محافظ في فلسطين، استطاعت أن تحول القمع والتقييد إلى صوت ينادي بالحرية والتحرر، ومن مصر، جاءت رضوى عاشور تحمل في تجربتها الذاتية رؤية نقدية للتاريخ والسياسة، موظفة أدبها لرسم ملامح التحديات التي تواجهها النساء في مجتمع يعاني من تحولات عديدة. أما نوال السعداوي، فقد كانت صوتًا لا يقهر في مواجهة التقاليد والأعراف، مستخدمةً قلمها للتحدي والدعوة إلى إعادة تقييم الدور الذي يُفرض على المرأة في العالم العربي.

أولا: مفهوم المحظور: لغة واصطلاحا

المحظور لغويًا يعني المنع والحجر، وهو مشتق من الفعل الثلاثي "حُظر". يعبر عن مفهوم المنع والتحريم، ويشار إليه كثيرًا في النصوص الدينية بمعنى الحرام. يوضح أحمد بن فارس أن كلمة "حظر" تدل على المنع، كما ورد في لسان العرب. المحظور هو ما يحرمه المجتمع دينيًا أو عرفيًا، وتستخدم كلمة "تابو" في اللغات الأجنبية لتعبر عن كل ما هو محرم اجتماعيًا. المحظورات تشمل الدين والسياسة، وتعد قضايا حساسة يعاني الأدباء من الصعوبة في تناولها بسبب النقد والهجوم الشرس من المجتمع. يفضل اللغويون العرب مصطلح "المحظور" على "تابو" لتوافر الكلمة في اللغة العربية منذ القدم، ويعتبرونها أكثر ملاءمة للثقافة والتراث العربي.

المجتمع يلعب دورًا محوريًا في تكوين شخصية الفرد، حيث يتحول إلى فاعل اجتماعي مؤثر، وليس مجرد مستقبل. الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي يتفاعل مع الجماعة، ما يخلق تبادلاً واختلافًا في الآراء والتصرفات، وقد يؤدي ذلك إلى خروجه عن الأعراف المجتمعية. المحظور غالبًا ما يكون مخفيًا، ويبقى في الظلام بسبب رغبة المجتمع في عدم المساس به. هذا الحظر يسير باتجاهين: أحدهما محظور مقدس ومبارك، والآخر محظور رهيب وخطير ومقدس.

ثانيا: المحظور الاجتماعي:

المحظور هو تلك المقدسات التي يفرضها المجتمع بقوانينه وضوابطه، وعلى الفرد الالتزام بها. يشير (فاضل تامر) إلى أن المحظور يجسد مجموعة القيم التي تحمي المجتمع من خلال موروثه الأخلاقي، وغالبًا ما يتداخل مع المقدسات الدينية، ويُستخدم كغطاء أيديولوجي للامتيازات الطبقية، في المجتمعات العربية، يُعد الحديث عن مواضيع مخالفة للقيم الأخلاقية من المحظورات، خاصة في حضور النساء، مما يؤثر على البنية اللغوية والسلوكية[1].

منذ العصور البدائية، فرض المجتمع قوانين لتحمي نسيجه وتحدد تصرفات أفراده، كمنع الريبة والسفاح، وتُعتبر هذه التقاليد قوة اجتماعية ذات سلطة. ينشأ الفرد ويتشبع بعادات وتقاليد مجتمعه، التي تشكل جزءًا من هويته، ويتفاعل معها ليصبح جزءًا من الجماعة.

المحظورات تنظم المجتمع وتمنع التعديات التي تهدد استقراره. تتغير هذه الضوابط مع تطور الحياة، فالعولمة والتكنولوجيا أدت إلى انفتاح المجتمعات وتغير العادات التقليدية، والسيرة الذاتية تقدم للكُتّاب، وخاصة النساء، مساحة لتحدي القيود الثقافية والاجتماعية، وتثير نقاشات حول المحظورات. هي وسيلة لتوثيق التجارب الشخصية ومواجهة المحرمات. تمنح السيرة الذاتية الكاتبات الفرصة لنقد المجتمع وكشف القيود الثقافية، مما يدعو للتغيير والإلهام.

السيرة الذاتية تحتل مكانة مهمة في الأدب، حيث تعبر عن الثقافة والتحديات الاجتماعية التي يواجهها الكُتاب، وخاصة النساء، في سرد تجاربهن الشخصية. تسلط الضوء على الصعوبات التي تعترض طريقهن في معالجة المحظورات الاجتماعية، كما يظهر في أعمال نوال السعداوي وفدوى طوقان.

– وجهة النظر في المجتمع–

كتابة السيرة الذاتية للمرأة، وخاصة في مجتمعات ذات قوانين صارمة تفرق بين الجنسين وتكثر فيها المحظورات الاجتماعية، تمثل فعلًا من أفعال التحرر والتحدي. كاتبات مثل نوال السعداوي، رضوى عاشور، وفدوى طوقان، لم يستخدمن السيرة الذاتية لرواية قصصهن فقط، بل كوسيلة لنقد الظروف الاجتماعية والثقافية التي أثرت في حياتهن وحياة نساء أخريات. السعداوي نقدت بشدة المحظورات المتعلقة بالمرأة في المجتمع، بينما قدمت عاشور في "أثقل من رضوى" نقدًا للقيود الثقافية والسياسية، وسلطت طوقان الضوء على تحديات التعليم والتعبير الشخصي في مجتمعها التقليدي. استخدمت هؤلاء الكاتبات تجاربهن الشخصية لنقد المحظورات الاجتماعية وتعزيز الوعي والنقاش، متحديات النظم التي تقيد حرية الإنسان.

كل واحدة منهن تمتلك رؤية فريدة تجاه المجتمع الذي تعيش فيه، رغم تشابهن في النهاية، وتأتي هذه الرؤية من خلفيات متنوعة. دافع كتابة سيرهن الذاتية يتفاوت، وسنستعرض دوافعهن ووجهات نظرهن حيال المجتمعات الشرقية. نسعى للإجابة على مدى تأثير المجتمع على قرار الكاتبات في كتابة سيرهن الذاتية، وكيف يوجه الدافع الداخلي مسار الكتابة.

يلخص يحيى عبد الدايم في كتابه "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" أن هناك بواعث مشتركة تحفز الكتاب على كتابة سيرهم الذاتية، مثل الدفاع أو الاعتذار، اتخاذ موقف ذاتي، الإفصاح عن ثورة نفسية، أو استرجاع الذكريات، كما هو موضح في تراجم مثل "المنقذ من الضلال" للغزالي، و"الامتاع والمؤانسة" للتوحيدي[2].

- **دوافع لا إرادية غير مدركة من قبل الكاتب:**

هناك دوافع يحاول الكاتب طمسها أو البوح بها متوسلاً بالأنا الراوي، لكي يضع حياته في شكل نصٍ بين يدي القارئ. ولعل السيرة الذاتية هي الشكل الأدبي الذي يتم فيه التناغم بين الكاتب والقارئ على أكمل وجه. فإذا كانت السيرة الذاتية تدعو الكاتب إلى تأمل ذاته وتحدوه في أغلب الأوقات إلى الكتابة، فإن تلك الحاجة نفسها إلى تأمل الذات هي التي تغري القارئ في أغلب الأحيان بالاطلاع على السيرة. يشكِّل هذا التناغم دورًا هامًا بين الكاتب والمتلقي في معرفة دوافع النص، حتى مع كشف الكاتب عن دوافعه للكتابة في مقدمة كتابه.[3]

وتبعًا لما نجده من أن لكل كاتب سيرة ذاتية دافعًا أو أكثر كان عاملًا محفزًا نحو كتابة سيرته، فسوف نبحث في عينات البحث عن تلك الدوافع. فهي لا تبتعد عن الدوافع المعروفة لدى كُتّاب السيرة في الأدب العربي الحديث، وإن وجدنا ظهور دوافع مستحدثة تفرضها السيرة الذاتية النسوية، فسيأتي الحديث عنها في الصفحات الختامية لهذا المبحث.

وتبعًا لتصنيف يحيى عبد الدايم، يأتي تصنيف جورج ماي الذي يتطرق إلى دوافع متنوعة يمكننا الاستفادة منها وتقسيمها إلى قسمين رئيسيين يتفرع منهما أضرب من المقاصد المختلفة. "المقاصد الأولى تضم الدوافع العقلانية المنطقية الرصينة، ويمكن تصنيفها إلى صنفين يعرفون بـ(التبرير) و(الشهادة). أما الطائفة الثانية فهي الدوافع العاطفية، التي تحتوي على دوافع تقترب من الانفعالات والعواطف واللا عقلانية، ويمكن التمييز بينهما من خلال صنفين: الأول يتعلق بشعور الكاتب بمرور الزمن وطريقته في استعادة الذكريات وجزعه من المستقبل، والثاني يعود إلى احتياجه في العثور على معنى لحياته التي انقضت أو يود استعادتها""[4].

- وها هنا ملاحظة مهمة تكشف أن العينات التي بين أيدينا يوجد منها نصان يشملان الدافع الثاني من الدوافع التي أشار إليها جورج ماي وهي الدوافع العاطفية. هن نوال السعداوي وفدوى طوقان، وسوف نعرف إذا ما ظهرت دوافع أخرى بجانب الدوافع العاطفية. أما بالنسبة لرضوى عاشور فقد تركت للقراء فرصة الاجتهاد لاستنتاج الدوافع من خلال القراءة. وانطلاقًا من الدوافع السابقة، سيتم فحص كل عينة حسب الدوافع التي توصلنا إليها للوصول إلى علاقة الدافع بقدرتهن على التعبير عن المحظورات الاجتماعية، وكشف رأي كلٍّ منهنَّ عن المجتمع الذي تنتمي إليه.

- **الدوافع العقلانية:**

وهي حاجة لتبرير أفعال أو شهادة على فترة زمنية خوفًا من الضياع والنسيان، حيث يعرف التبرير بأنه: "حاجة المرء إلى الكتابة ليبرر على رؤوس الملأ ما كان أتاه من أفعال أو صدع به من آراء، ويكون شعور المرء بهذه الحاجة أكثر إيلامًا وأشد إلحاحًا على وجه الخصوص إذا ذهب في ظنه أن الناس قد افتروا عليه" [5].

ورغم أن رضوى عاشور لم تصرح بدوافع كتابة سيرتها الذاتية مباشرة مثلما فعلت فدوى طوقان ونوال السعداوي وغيرهما، إلا أنه يمكن اكتشاف دوافعها من خلال القراءة الأولى لكتاب "أثقل من رضوى". دافعها عقلاني، حيث تسعى لتوثيق فترة زمنية مهمة من التاريخ لتجنب ضياعها من ذاكرة الزمن، ويختلف هذا التبرير عن التبرير التقليدي للدوافع العقلانية، حيث يتسم بالمرونة والتداخل. توثيق تلك الفترة كان مهمًا لرضوى ولقرائها، خاصة في سياق مرضها.

في سيرتها الذاتية، تربط رضوى بين الأحداث العامة والخاصة، مثل مرضها الشخصي والثورة المصرية، حيث تمثل الثورة محظورًا سياسيًا واجتماعيًا، والمرض

محظورًا دنيويًا. عنوان الكتاب "أثقل من رضوى" يعبر عن هذه العلاقة العميقة، حيث يتجلى اسمها في قوة وشموخ جبل رضوى.

هذه المعارك الداخلية والخارجية تولد لديها شعورًا بالاغتراب الذاتي، متأثرة بفقدان أفراد عائلتها وتدهور حالتها الصحية، ما يدفعها للسفر لإجراء عملية جراحية. في الوقت نفسه، تشهد الثورة المصرية التي تهدف لإعادة هيكلة المجتمع، وعلى الرغم من المرض، تتمسك بالأمل وهي بعيدة عن وطنها.

- **الدوافع العاطفية.**

هي حاجة لتبرير الأفعال أو الشهادة على فترة زمنية خوفًا من الضياع والنسيان، كما أنها تشمل كما أشرنا سابقًا صنفين: "صنف يتصل بشعور الكاتب بمرور الزمن والتلذذ بالتذكار أو الجزع من المستقبل، وصنف يتصل بالحاجة إلى العثور على معنى الحياة المنقضية أو استعادته، نقصد بذلك اتجاه الحياة ودلالتها معًا".[7].

نلاحظ أن سيرة نوال السعداوي وفدوى طوقان من أبرز الأعمال الخاصة بالسيرة الذاتية المتصلة بهذا النوع من الدوافع، ونرى فيهما عدة دوافع عاطفية، مثل: التباري مع الزمن ومحاولة العثور على معنى للوجود.

أولا: التباري مع الزمن:

إن الفكرة التي يقوم عليها هذا الدافع هي التلذذ بتذكار الماضي أو الجزع من المستقبل، وقد يظهر هذا الدافع في معظم السير الذاتية، إذ أن السير الذاتية تقوم في الأساس على التذكر، ولكن هناك سير ذاتية تحتوي على دافع آخر بداخل دافع، وهو أن يكون التذكر قائمًا على التبرير أو الشهادة، ونوع آخر يقوم على التلذذ فقط باستحضار الذكريات الماضية. معظم كتّاب السيرة الذاتية "يملكون خيالًا مجنحًا يمكنهم من الفرار إلى الماضي مؤقتًا على الأقل، وغالبًا ما يكون هذا الفرار بالمعنى المخصوص الذي نقصده عند حديثنا عن أدب الفرار[8].

يعني هذا الفرار أنه من الممكن أن تحتوي تلك الذكريات على أحداث تعيسة، وليس بالضرورة أن تكون سعيدة، والتلذذ هنا يعني شعور الكاتب بالمتعة عند الكتابة عن حياته بهدف استرجاعها عبر فعل الكتابة.

غالبًا ما يدخل الكاتب في هذه التجربة الكتابية في سن متأخرة بعد تفرغه وابتعاده عن مشاكل الحياة، فعند الكتابة بدافع عاطفي، ينقل بها الدوافع الانفعالية التي تكون بغرض التبرير أو الرد على هجوم أو انتقام، بل يسيطر على الكاتب مشاعر متجددة ليعيش حياته من جديد من خلال تجربة الكتابة. لذا، من السمات الشهيرة للسيرة الذاتية ذات الدافع العاطفي أنها طويلة وتنشر في عدة أجزاء، مثل السيرة الذاتية لنوال السعداوي التي سُردت في ثلاثة أجزاء، وكذلك الحال عند فدوى طوقان في جزأين.[9]

في سيرة "أوراقي حياتي"، نجد اختلافًا كبيرًا عن "مذكرات طبيبة" و"مذكراتي في سجن النساء". الهدف الأكبر الواضح في كتاب "أوراقي حياتي" هو مقاومة الفناء والتباري مع الزمن من خلال الكتابة. تقول: "أرفع رأسي من فوق الورقة، أترك القلم لحظة، لماذا أكتب سيرة حياتي اليوم؟ الحنين إلى عمري الذي مضى؟ هل مضى؟ أم في العمر بقية؟ أتكون الكلمات هي الملاذ الأخير للإمساك بما فات قبل أن يفوت؟ تثبت الصور في الذاكرة قبل أن تتلاشى؟ مقاومة الفناء من أجل البقاء في الوجود أو الخلود؟"[10].

"كلمة الخلود في طفولتي وصباي كانت سحر الآلهة، اليوم لم يعد هناك سحر. الكلمة في حد ذاتها تبعث على الضجر، الاستمرار الدائم لأي شيء يؤدي إلى الملل، لولا الموت لأصبحت الحياة أمرًا غير محتمل. أهي محاولة كشف المخبوء في أعماق نفسي؟ تعرية المستور بالخوف من الله، أو الأب، أو الزوج، أو الأستاذ، أو الصديق، أو الصديقة من رفاق الزمالة أو الحب أو الوطن؟"[11].

بعض هذه النصوص من الأجزاء الثلاثة توضح ظهور هذا الدافع، وتجيب على ما إذا كانت هناك دوافع أخرى أم لا. تقول: "فوق مكتبي تتراكم أوراق حياتي، بدأت أكتب سيرتي الذاتية منذ غادرت الوطن. التهديد بالموت جعل حياتي مهمة تستحق الكتابة. حياتي تزداد قيمة بالاقتراب من الموت. لا شيء يقهر الموت مثل الكتابة، لولا كتاب التوراة لما عاش النبي موسى أو اليهودية، لولا كتاب الإنجيل لما عاش المسيح أو المسيحية، لولا كتاب القرآن لما عاش النبي محمد أو الإسلام. ألهذا السبب كانت الكتابة محرمة على النساء والعبيد؟"[12].

"إن كان هناك زمن، فهو ما أخلقه بالكتابة. أسترجع تجارب الحياة في تلك القاهرة، المدينة الغارقة في اللامكان واللا زمان... أنشد الحياة بعد الموت عن طريق الكتابة، مثل الأنبياء والآلهة. لست في شجاعة صديقتي رجاء، ماتت دون أن تكتب شيئًا: «ما جدوى الكتابة يا نوال إذا كانت الرقابة تحذف أهم ما نكتب؟[14]... القلم في يدي يتحرك فوق الورق كأنما بقوة لا إرادية. أريد التوقف عن الكتابة دون جدوى، إنها الملاذ الوحيد أتمسك بها حتى النفس الأخير. لولا الكتابة لاندثرت منذ نصف قرن وراح اسمي في العدم كما راح اسم جدتي وأمي"[15].

تسلط الضوء على الدور الذي تلعبه الكتابة في مواجهة السلطات، خاصة إذا كانت سيرتها الذاتية التي تتحدى التغيير الاجتماعي. عُرفت بجرأتها في مواجهة المحظورات الاجتماعية والثقافية في كتاباتها. كتابة السيرة الذاتية بالنسبة لها لم تكن مجرد توثيق للأحداث، بل كانت أداة للمقاومة والبقاء والتأكيد على الذات في مواجهة القمع والرقابة. من خلال الفقرات السابقة، يمكننا رؤية كيف تمتزج المحظورات الاجتماعية بالدوافع الشخصية والعقلانية في كتابة سيرتها الذاتية. استخدمت الكتابة كوسيلة للتحدي والمقاومة ضد المحظورات الاجتماعية، خاصة تلك التي تقيد حرية المرأة وتعبيرها. تشير إلى أن الكتابة كانت محرمة على النساء

والعبيد، مما يلقي الضوء على القيود المفروضة على الفئات المهمشة، وأن المرأة من ضمن الفئات المهمشة في المجتمعات العربية، وكيف يمكن أن تكون الكتابة أداة للتحرر.

ترى الكتابة كوسيلة للنجاة من الموت والنسيان، مما يعكس دافعها العقلاني والعاطفي. كتابتها ليست مجرد سرد للأحداث، بل محاولة لإثبات الوجود ومقاومة العدم. تشير إلى أن الكتّاب، مثل الأنبياء والآلهة، يمكن أن يمنحوا الحياة بعد الموت، وهذا يظهر كيف تتجاوز الكتابة مجرد تسجيل للأحداث إلى كونها وسيلة للخلود والبقاء. نلاحظ استخدامها للاستعارة لمقارنة الكتابة بالخلود الذي حققه الأنبياء من خلال كتبهم، ويظهر كيف تتعامل مع الكتابة كفعل مقدس وثوري. تعبيرها عن التهديد بالموت واستخدام الكتابة كدرع يشير إلى أن السيرة الذاتية بالنسبة لها هي ساحة للكفاح والمقاومة.

إن الكتابة من أجل التباري مع الزمن تُعَدُّ انتزاعَ شيءٍ من الخلود لكي تبقى وتظل بعد موتها. فهي على قناعة بأن طلب الحياة بعد الموت يأتي من خلال الكتابة مثل الأنبياء والآلهة. وفي اعتراف واضح، تعلن أنها ليست بشجاعة صديقتها رجاء، التي لم تدوِّن أي شيءٍ من حياتها بسبب قناعته العدمية بأن ما جدوى الكتابة في ظل وجود الرقابة التي تصر على حذف أهم ما يكتبه المبدعون؟ تقول نوال: "أنشد الحياة بعد الموت عن طريق الكتابة، مثل الأنبياء والآلهة، لست في شجاعة صديقتي رجاء، ماتت دون أن تكتب شيئًا: ما جدوى الكتابة يا نوال إذا كانت الرقابة تحذف أهم ما نكتب؟"

لكن يظل السؤال هنا: هل سيرة نوال السعداوي تنطلق من دافع التباري مع الزمن فقط؟ لتصحبنا إلى تساؤلاتها الخاصة التي تطرحها أثناء الكتابة لاكتشاف الدافع الحقيقي من ورائها: أهي محاولة كشف المخبوء في أعماق نفسها؟ تعرية المستور

بالخوف من الله، أو الأب، أو الزوج، أو الأستاذ، أو الصديق، أو الصديقة من رفاق الزمالة أو الحب أو الوطن؟[16].

في هذا التساؤل تكشف نوال السعداوي عن دوافع أخرى خارجية تختلف عن الدافع الذاتي شديد الخصوصية الذي يدفعها إلى كتابة سيرتها الذاتية لكي تسابق الزمن وتلحق به وتؤكد وجودها من خلاله. وهو دافع الكشف عن المحظور ومواجهة المجتمع، بمعنى أن المجتمع والأسرة والذكر، جميعهم عناصر فرضت التجربة نفسها لكي تحكي عنهم وتكشف أي محظور خاص بهم. حيث فرض المجتمع سيطرته واشتهر بمنع الحديث عنهم، خاصة وأنها من أكثر الكاتبات النسويات صراحة وصدامية في مواجهتها، وخاصة في فضح السلوكيات الظالمة تجاه المرأة منذ طفولتها. ومن هنا، لا يمكن إنكار الوظيفة الثأرية ضمن دوافع كتابة السيرة الذاتية لدى الكاتبة نوال السعداوي، فهي تكتب سيرتها وهي تشمر عن ساعديها لتصدم المجتمع وتكشف عن المستور وكم من التناقضات الواضحة في أعرافه وتقاليده التي تتحيز لمصلحة الذكور ضد الإناث. لذا نُقر بسيطرة الوظيفة الثأرية الانتقامية التي اشترك فيها المجتمع في توجيهها عند الكتابة، حيث لم تخشَ من المواجهة. بل تُعد نوال السعداوي من أكثر الكاتبات اللاتي مزجن بين الدافع الانتقامي والكشف عن المحظور كله، والحديث عن أكثر القضايا التهابا وحساسية تجاه الأعراف والتقاليد.

وانطلاقًا من القول بأن سيرة نوال السعداوي تعود إلى دوافع عاطفية، تُعرف بأنها طويلة ذات ثلاث أجزاء تهرب من خلالها من حاضرها الذي يؤكد اقتراب الموت لكي تلجأ إلى الماضي بكل ألوانه السعيدة والتعيسة.

وكذلك هي لحظة تحرر من كل أعباء الماضي بأسراره التي بين دفتي دفتر مفكراتها الصغيرة. فبمجرد نشر أفكار هذه المفكرة تعلن تحررها من مشاعر

الكبت، فيتحول شعورها بالخزي والعار إلى شعور بأنها أنجزت عملًا ذا قيمة علمية وأدبية يدرسه الطلاب والطالبات في الجامعات في العالم، ما عدا الجامعة المصرية. تقول: "في المرآة أرى سحابة الحزن تكاد تخفي البريق القديم في عيني، أجلس في الشرفة العالية أُطل على المدينة، القاهرة لأهلها المقهورة بحكامها، أقاوم الحزن بالكتابة، أحب ملمس القلم بين أصابعي... ثمانية وأربعون عامًا مضت منذ بدأت أكتب في مفكرتي السرية، لم يعد عندي أسرار، كتبتها كلها ونشرتها على الناس، تحولت من ذكريات مكبوتة تبعث على الخزي والعار إلى قيمة علمية وأدبية يدرسها الطلاب والطالبات في جامعات العالم، ما عدا الجامعة المصرية."[17].

وهنا ننتقل إلى هدف ثالث يتجاوز دافع التباري مع الزمن فقط، بل يمتد هذا الهدف إلى الوصول للحظة مرتقبة تكون فيها قيمة تعبر من خلالها عن بنات جنسها، ليظل اسمها متوارثًا عبر الأجيال من خلال قراءة ودراسة سيرتها في الجامعات، لتكون وسيلة للوعي بقيمة الإنسان بعد رحيله واستعادة هذه القيمة في الوقت الحاضر لكي تظل وتحيا[18]. وهنا تريد أن تضفي على سيرتها صفة الخلود لكي تتوارثها الأجيال من بعدها، ناسيةً أنها قد لا تصل إلى كل زمان ومكان. يمكننا القول إن مسألة الربط بين الكتابة والحياة بعد الموت هو ربط قديم في التراث الأدبي العربي، كما نجده في الشعر الجاهلي عامةً والأطلال منه بشكل خاص، فالشاعر الجاهلي يقوم بتشبيه الأطلال أو الماضي بالكتابة المحددة، أو بالكتابة عن طريق لغات وثقافات أخرى ذات حضارة حية بعد موتها. وهذا يوضح لنا أن الكتابة في جوهرها تنطوي على معنى الموت، ويعد ذلك مفارقة، سواء قديمًا أو حديثًا، فإن الكاتب أو الشاعر يمكن أن يرى أن إنتاجه الفني هذا يعني موت المؤلف بشكل ما[19].

لقد تعددت وظائف كتابة السيرة الذاتية، وإن كانت هناك وظيفة مهمة من ضمن تلك الوظائف ندرك من خلالها رؤية واضحة للكتابات السيرية. فعلى سبيل المثال عند نوال السعداوي، نجد سيطرة الوظيفة الثأرية الانتقامية، وتثبت تلك الوظيفة وجودها، فتعبر عن محظور اجتماعي وهو نظرتها للعنصر الأقوى داخل المجتمع. فنلاحظ نقلها صورًا ذكورية تتسم بالزيف والقسوة والتحكم، وذلك من خلال اعتبار صورة الرجل في معظم السير الذاتية رمزًا لا ذاتًا إنسانية، يضعه النص تحت وطأة الثأر والانتقام متمثلاً في السلطة أو الحارس المنتفع. وبذلك تنطمس معالم الإنسان الذكر على حساب حضور عنصر السلطة الذكورية أيضًا، ويتم تقديم هذا المنظور من جانب نسائي يرى أنه فعلًا ثأريًا انتقاميًا، ينبع من فكر وسلوك وزيف مجتمعي ذكوري من خلال سلطته بشكل عام والاجتماعي منها بشكل خاص.

واستنادًا إلى ذلك نستطيع تصنيف وظيفة كتابة السيرة الذاتية عند نوال السعداوي، التي اتخذت منها عنصرًا لتطلق بكل جرأة وتفصح عن رأيها ليس فقط عن المجتمع عامةً، ولكن عن كل عنصر ذكوري وجدت فيه ظلمًا للمرأة. فقد أخذت موقفًا عدائيًا من المجتمع بأكمله، وهذه العدائية نابعة في الأساس من المجتمع ذاته، الذي يصدر أحكامًا متسلطةً ليحكم قبضته على الطرف الأضعف من وجهة نظره.

يمكن القول بأنها عُرفت بتمردها على تلك العادات والتقاليد المجتمعية التي تضع المرأة في موقف ظلم وقهر، فهي تعكس وجهة نظرها من خلال اعترافها أن هذا المجتمع يقوم بفرض النظام البطريركي على المرأة، والذي يعد المحدد الأساسي لدور كل من الذكر والأنثى في المجتمع. فهو نظام يحتاج إلى مجالات الحياة الخاصة (العائلية) والعامة (المجتمعية) أيضًا، وتعتبر هذه القيم البطريركية عبارة

عن تركيبات متطورة اجتماعيًا تبرز جوهر الذكر على الأنثى، وتقوم هذه البطريركية الضمنية بتهيئة المجتمع لتحقيق المنطقية المثالية لأدوار كل من الرجل والمرأة، من خلال نموذج مرتب بشكل هرمي، يجعل الرجل في مكانة أعلى من المرأة وأكثر تفوقًا، وتكون هي في مكانة أدنى. ويقيس على ذلك في جميع المجالات الحياتية.[20]

ومن هنا تُشَرِّح نوال السعداوي المجتمع وتطلق سراح قلمها، معلنةً عن موقفها ورأيها بصراحة وتمرد، ورافضةً لكل شيء، وذلك من خلال سرد تجارب حياتية من واقع سيرتها، تحكي قصصًا وحكايات حقيقية ومحظورات يُحرَّم على المرأة الحديث عنها، وما تتعرض له انتهاك كامل منذ طفولتها تحت غطاء العادات والتقاليد الخاصة بكل بيئة، وظلمٌ يضع النساء في المجتمع العربي في مأزق كبير، وحرمانٌ كاملٌ من أبسط حقوقهن في التعليم والانفتاح على الحياة، وحقهن في اختيار شريك الحياة، وحقهن في الحفاظ على أجسادهن بدون تشوه أو عنف. ثم تنتقل في هذا الجزء الخاص بالمحظور الاجتماعي من الحديث عن المحظور الخاص بالمرأة ورؤيتها للظلم الموجَّه لها، إلى تشريح جزء من المجتمع من خلال نظرة نوال السعداوي، ووصف دقيق يلخص وجهة نظرها وفضح ما نعيشه من تناقضات جسيمة في مجتمعنا، وقد جسده أيضًا نجيب محفوظ في الثلاثية. ممارسات ذكورية تضع المرأة في كفة ظالمة، باسم الدين يستطيع الشرقي أن يمرر الكثير من الموبقات نتيجة استخدامه المغلوط لشرع الله وإجازته له في حالات خاصة جدًا وضمن شروط وطوارئ حددها الله. وسوف نقوم بتحليلها والوقوف على تفاصيلها في الفصل القادم، لكنها تضرب مثالًا للطبقات المجتمعية العليا وهذا لافت للنظر، واتخذت مثالًا لذلك عائلة زوجها شريف حتاتة، فهي عائلة كبيرة أرستقراطية.

وعلى الرغم من ذلك لا تخلو من صفة التعالي والتذلل في نفس الوقت. فهم ينتمي شريف إلى الطبقة الأرستقراطية المصرية، أصحاب الأراضي والإقطاع منذ الخديوي والسلطان والمماليك، يملكون الأرض والمصانع والشركات، ويشاركهم فيها الأسرة الملكية والأجانب. مثلهم الأعلى الملك فؤاد الأول ثم فاروق الأول، يتفاخرون بجذورهم في الأرض المصرية، يرثونها عن الأب والجد، يتزوجون الشقراوات الأجنبيات حتى يسافروا إلى باريس أو لندن للسياحة أو للحصول على الشهادات العليا[21]." ثم تنتقل إلى وصف القاهرة فتقول: "مدينة القاهرة في الثلاثينيات من القرن العشرين كانت تتألق في الليل كالرجل الداعر[22]". وصف القاهرة العاصمة بالرجل الداعر محظور لغوي خطير لا تخشى نوال السعداوي استخدامه، فمن المُلفت للنظر أنها تنعت القاهرة في الليل بصفة ذكورية وليست أنثوية كما هو المعتاد في المجتمعات الشرقية، كأنها ترد جميع الإساءات الموجهة إلى المرأة وجسدها ونعتها بأبشع الصفات المسيئة.

ثم تعود لتنقل لنا حياة الرجال الذين ينتمون إلى تلك الطبقة الأرستقراطية، وذلك جزء من الذاكرة الثقافية لديها، تقول: "الشعب المصري الفقير مع رشفات الويسكي ودخان السيجار... في البيت الكبير بيت العائلة الكريمة، يحتفظون بالزوجة الأولى العجوز أم الأولاد، عفيفةً طاهرةً كالأم العذراء، وفي البيت الثاني الخفي، مثل الحكومة الخفية، هناك الزوجة الثانية الشابة... تحت سنة الله ورسوله، لكل منهم ثلاثة بيوت أو أربعة بحسب عدد الزوجات[23]." نمط حياة ازدواجي مادي بحت، فحينما تجتمع السلطة والمال والنفوذ، نجد أنماط حياة فاحشة ومزدوجة، وليس هذا ببعيد عن باقي الطبقات العادية. مثال ذلك نموذج سي السيد وأمينة في "بين القصرين"، زوجته المطيعة الطيبة أمينة، وعشيقته الراقصة، لكن هنا يزيد توافر المال الأمر ليصبح له بيت واثنان وثلاثة. وهنا

تطلق قلمها وتفضح مستورات المجتمع والمحظورات الحقيقية، وهذا ما يتم التعتيم عليه دائمًا بسبب مساس هذا المحظور بالنفوذ والسلطة.

وخلال الفصل القادم، سندرس بالتفصيل كيف قامت نوال السعداوي بتناول المحظورات الاجتماعية من خلال أهم القضايا الخاصة بالمرأة. لكن قبل ذلك، نقف هنا على أهم الأجزاء من النصوص اللافتة للنظر التي تشرح من خلالها المجتمع بتناقضاته، وتفصح عن موقفها منه. ثم نجيب عن هذا السؤال: هل تنتقي نوال السعداوي ما هو ضروري من وجهة نظرها لذكره في سيرتها، أم تبوح بكل شيء مما كتبته في مفكرتها الشخصية.

ثانيا: عثور المرء على معني لوجوده:

تتولد الرغبة في كتابة المرء عن ذاته بعد صراع ينغمس فيه طوال حياته للبحث عن ذاته وتحقيق إنجازٍ في الحياة، ليصل إلى معنى لوجوده في الحياة. ولكي يصل إلى هذا، يمر بمراحل عديدة من الفشل، ولعل تلك الطموحات أكبر من قدراته، أو أنه يمتلك قوة خارقة ومواهب عديدة لا تزال مكبوتة بسبب مؤثرات أخرى خارجة عن إرادته. ويظل هذا الصراع القائم حتى يحقق حلمه ويشعر بدوره الفعال في هذه الحياة. حينها، تنفجر تلك الطاقات الإبداعية على شكل عمل أدبي في سرد يتأمل خلاله مسيرته بعد كفاح طويل تحول فيه الحلم إلى حقيقة ملموسة واضحة أمام عينيه، حتى ينتج عملًا فنيًّا خاضعًا لرغبته في الكتابة، واسترجاع حياته كاملة بتجاربها الصعبة، مرورًا بكل هذه المراحل، ووصولًا إلى لحظة عثوره على معنى حقيقي لذاته.[24].

أما فدوى طوقان، فالأمر يختلف كل الاختلاف عن تلك الدوافع التي ذكرناها سابقًا، فنجد أن لديها رغبة ملحة للكتابة تريد أن تبوح وتعبر عن ذاتها، لكنها رغبة كامنة وقلقة. والخوف هنا لا يرجع إلى الخوف من أن تدلي بشهادة أو أن

تفصح عن عيب تخشى أن تُفضح بعده أمام الناس، بل يرجع إلى دافع داخلي ينشأ من موقف سلبي اتخذته ضد ذاتها.[25].

وهنا يكشف القارئ عن نقص من خلال سطور الكاتب تجاه ذاته، ليتدخل في الوقت المناسب وينفي هذا الانطباع برسم صورة إيجابية لنفسه لكي يتوازن الأمر لدى تلك الذات القلقة السلبية، ويثبت بتجربته تفوقها في النهاية على هذا الصراع. وكثيرٌ من الكتاب يحاولون استغلال هذا القلق في مراحل معينة من حياتهم استغلالًا إيجابيًّا، ليخلقوا من خلاله دافعًا للكتابة. بالطبع، هو موجود بداخل كل ذات بشرية، لكن هناك من يستطيعون أن يخلقوا من هذا الألم إنجازًا وإبداعًا، وهناك من يعجزون عن التعبير عنه فيسيطر هو عليهم، ومن هذا المنطلق تأتي سيرة فدوى طوقان.

مما سبق نحاول إثبات هذا الدافع لدى فدوى طوقان من خلال تتبع خطوات بحثها عن ذاتها من خلال الكتابة، ذلك الدافع الذي وُجد من الأساس بسبب معاملة الأهل والقهر الذي تعرضت له منذ طفولتها، فالمنع كان رفيقًا ملازمًا لفدوى طوقان طوال حياتها، بدءًا من محاولات الأم مع الجنين، ثم الشاعرة بعد ذلك وفقدان الاسم وتاريخ الميلاد، وإهمال الأم لحضانتها، ومنعها من التعليم المنتظم، ونهايةً بقصة حبها الأول، وصعوبة ممارستها للكتابة حتى انتهى بها الأمر إلى التوقف عن الكتابة لمدة زمن كامل.

ففدوى طوقان قد تجرعت شعور المنع والحرمان منذ نعومة أظافرها، مما سبب ذلك إحساسًا دفينًا بانعدام الثقة بالذات، وتلك الثقة نرى لها تبعات عديدة على مدار نصوص سيرتها. وهنا سنحاول فهم النصوص المتعلقة بغرض الكتابة. نجدها في بداية سيرتها تقول: "إذن، لماذا أكتب الكتاب الذي أكتشف فيه بعض زوايا هذه الحياة التي لم أرض عنها أبدًا؟ بتواضع غير كاذب أقول إن هذه الحياة،

على قلة إثمارها، لم تخل من عنف الكفاح، إن البذرة لا ترى النور قبل أن تشق في الأرض طريقًا صعبًا، وقصتي هنا هي قصة كفاح البذرة مع الأرض الصخرية الصلبة، إنها قصة الكفاح مع العطش والصخر" [26]... " ظللت، طوال عمري الأدبي، أحس بانكماش ونفور من الإجابة على الأسئلة التي توجه عن حياتي، والعوامل التي وجهت هذه الحياة وأثرت فيها، وكنت أعرف السبب، سبب ذلك الانكماش والنفور من الإجابة على الأسئلة، ذلك أنني لم أكن يومًا راضية عن حياتي أو سعيدة بها، فشجرة حياتي لم تثمر إلا القليل، وظلت روحي تتوق إلى إنجازات أفضل وآفاق أرحب" [27]

"فلعل في هذه القصة إضافة خيط من الشعاع ينعكس أمام السارين في الدروب الصعبة[28]...لا ضير علينا لو خسرنا المعركة، فالمهم ألا ننهزم أو نلقي السلاح، إن قوي الشر سواء أكانت غيبية أم اجتماعية أم سياسية، نقف دائما ضد الإنسان وتعمل على تحطيمه، ولكن الإنسان يقف أمام هذه القوي بكبرياء وعناد بالرغم من ضعفه"[29]... "لم أفتح خزانه حياتي كلها، فليس من الضروري أن ننبش كل الخصوصيات، هناك أشياء عزيزة ونفسية، تؤثر أن نبقيها كامنة في زاوية من أرواحنا بعيدة عن العيون المتطفلة، فلابد من إبقاء الغلالة مسدله على بعض جوانب هذه الروح صونا لها من الابتذال" [30] ... "ما كشفت عن هذا الجانب الكفاحي الذي ذكرت قبل قليل، كيف استطعت، في حدود ظروفي وقدراتي، أن أتخطي ما كان يستحيل تخطيه لولا الإرادة والرغبة الحقيقية في السعي وراء الأفضل والأحسن، ثم إصراري على أن أعطي حياتي معني وقيمة أفضل مما كان مخططا لها" [31].

حينما تخضع السيرة الذاتية لهذا الدافع، وهو العثور على معنى للحياة، فإن حياة الكاتب أيضًا تخضع لعملية انتقاء منظمة وواعية، فلن تجد اختيارات عشوائية

لمشاهد من هذه الحياة ولا يمكن أيضًا سرد كل تفاصيلها، فهي تنتقي المواقف التي كانت ذات صلة وثيقة بالمشكلة الأولى، وهي شعورها بالحيرة والقلق حيال حياتها ومستقبلها، كما أن ظهور ضعفها في محظور ذاتي خاص بكاتب السيرة الذاتية. لأن الأنا دائمًا ما تكون من المناطق شديدة الحساسية. لكن إشارتها إلى أنها لم تفتح خزانة حياتها بالكامل، مفضلة إبقاء بعض الجوانب كامنة وبعيدة عن الأعين المتطفلة، يعكس هذا الموقف تأثير المحظورات الاجتماعية على كتابتها، حيث تحافظ على جزء من حياتها بعيدًا عن النقد والابتذال الاجتماعي. تعبر عن جانبين متناقضين لدى المبدع، وحده من يستطيع كبح لجام قلمه في الرغبة في الكشف عن الذات وعن أدبها وموهبتها الفنية، وبين ضرورة حماية بعض الجوانب الخاصة من الحياة.

أما عن تشبيه حياتها بالبذرة التي تريد أن تشق طريقها في الأرض الصخرية الصلبة، هذا التصوير يكشف عن سببٍ قوي يتمثل في الرغبة في تقديم قصة كفاحها كإلهامٍ للآخرين، وهذا يتلخص في دافع الكتابة وهو رغبتها في العثور على ذاتها المبعثرة. فترى أن قصتها، رغم قلة ثمارها، تحمل في طياتها درسًا يمكن أن ينعكس على السائرين في الدروب الصعبة، مما يضفي على سيرتها الذاتية طابعًا تحفيزيًا وتعليميًا.

وفي هذا الجانب يتم تقسيم المحظور إلى نوعين: الأول التعبير عن المحظور الذاتي (الداخلي) الخاص بشخصية وتكوين فدوى طوقان، والثاني المحظور الاجتماعي (الخارجي) الذي تطلق فيه سراح قلمها للتعبير عن رأيها ورؤيتها لهذا المجتمع الذي نشأت فيه ومعالمه وأبرز شخصياته. أولًا، تناولت ذاتها بشيء من المصارحة والاعترافات التي كانت تُشكل حاجزًا نفسيًا عميقًا بداخلها، فالتعبير عن تلك الدواخل والبوح بها يعد نوعًا من أنواع الاستشفاء والمواجهة. أولها الظلم

الذي تعرضت له من قبل العائلة وتأثير الظلم على شخصيتها وتكوينها، ومعاناتها من الحرمان وشعورها بأنها غير مرغوب فيها من الوالدين، يؤدي في نهاية الأمر إلى قلة ثقتها بنفسها وشعورها بالدونية. ظللت، طوال عمري الأدبي، أحس بانكماش ونفور من الإجابة على الأسئلة التي توجه عن حياتي، حتى جاءت لحظة البوح والخلاص وهي لحظة الكتابة والإفصاح عن كل تلك الخلجات النفسية الدفينة.

واعتمادًا على ذلك، نجد أن العائق لدى فدوى طوقان في كتابة سيرتها الذاتية أتى من عامل داخلي وليس خارجي في الأساس. فعلاوةً على الكبت الاجتماعي للمرأة من جهة المواجهة والاعتراف بانطلاق، كان داخلها حاجزٌ كبير تولد بسبب عوامل اجتماعية كانت تمنعها من الكتابة والمصارحة. لكن هنا يجب الإقرار بأن ميلاد دافع جديد من أجل كتابة السيرة الذاتية عند فدوى طوقان، وهو دافع تريد أن تثبت من خلاله أن اسمها وموهبتها يستطيعان أن يصبحا من أهم الأعمال السيرية النسوية في الوطن العربي إن لم تكن أهمهن على الإطلاق في ذلك الوقت.

وعند رصد كيفية إبداء وجهة نظرها في المجتمع وإطلاق رؤيتها للمحظور الاجتماعي، حيث تُمنع المرأة من الحديث بسبب خصوصيته وأعرافه، ووجود حُراس عليه من أفراد هذا المجتمع، فإننا ننفتح على مجتمع جديد علينا من الناحية الثقافية، لكنه ليس بجديد من الناحية الاجتماعية لتشابهه مع أنماط وأعراف جميع المجتمعات العربية، وما تخلفه من تأخر في أبنائها. فجميعنا نشترك في نفس المأساة، فحسب ما جاءت به في حديثها عن المجتمع الذي نشأت فيه واحتكت بالعديد من طوائفه، نجدها تصف المجتمع النابلسي وتنقل أهم سمات وظواهر هذا المجتمع عامةً ومجتمع النساء خاصةً.

أما وجهة نظرها تجاه المجتمع النابلسي، تقول: "للنابلسيين قوانينهم الاجتماعية الخاصة، ولكي يرضى عنك الناس يجب عليك المحافظة على تلك القوانين، وكان أهمها ألا تتخذ بين الجماعة موقفًا يظهر أكثر معرفة، وإلا فأنت المغرور المدعي البغيض إلى النفوس. إن الانتقاد التهكمي اللاذع صفة عامة للنابلسيين، لذلك لم أسمح لنفسي أن تفرض نفسها على الآخرين بالحديث عن موضوعات بعيدة عن اهتمامهم، وفقدت الرغبة في الجدال والأخذ والرد، وفي أكثر الحالات كان تواصلي مع الناس مجاملة دون أن أقترب منهم اقترابًا قلبيًا؟" [32]... تلك هي صورة المجتمع النسائي الذي كان يحيط بي في بلدتي خلال الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن، مجتمع برجوازي غير قارئ، كنت أبدو في نظره مخلوقة شاذة غير اجتماعية... واتسعت الفجوة بيني وبين المجتمع النسوي، فلم يكن بمستطاعه أن يعطيني شيئًا أو أن يأخذ مني شيئًا. وكان عليّ أن أدرك أن الدنيا كانت تدور على عادتها قبل أن أكتشف عالم الكتاب الجميل الخصيب، ولكن لم أدرك ذلك في تلك الأيام ولو أدركته لقلت الفجوة بيني وبين ذلك المجتمع النسائي البائس."[34].

في الفقرات السابقة تسير فدوى طوقان بتسلسل في وصف المجتمع النابلسي. بدأت من العام أولًا، المجتمع ككل، من صفات ركيكة وبغيضة إلى نفسها، ثم تنتقل إلى الخاص، المجتمع النسائي الذي من المفترض أن تنتمي إليه، على الأقل من بنات جنسها. تصف الأول بعدة صفات لتنقل لنا صورة من جانب ثقافة وعادات المجتمع النابلسي الذي هو جزء من المجتمع الفلسطيني الأكبر، والذي لا ينفصل بالضرورة عن باقي المجتمعات العربية الأخرى المجاورة له، من عادات وتقاليد وثقافة. حيث تقول وجهة نظرها تجاه هذا المجتمع وتوضح موقفها، ثم تفصح عن كيفية تعاملها معهم فهو معروف بقوانينه الخاصة، الصارمة واللاذعة

في آن واحد. وأهم هذه السمات هو ألا تُظهر نفسك كشخص مثقف لديك قدر من المعرفة أكثر من الآخرين، وإلا فأنت مغرور مدعي وبغيض، كما وصفت. كما أنه مجتمع لاذع في نقده، فضولي جارح، كثير الثرثرة والجدال والأخذ والرد وإصدار الأحكام المسبقة. لكن لا ننسى أن نابلس تمثل الريف بالنسبة للعاصمة القدس على سبيل المثال، فهناك قيود أكبر من باقي المجتمعات الفلسطينية، وتلك الصفات التي سردتها تمثل قوانينه الخاصة، فإذا خالفتها سوف تتعرض لأذى كبير؛ لذا جاءت مواجهة فدوى طوقان لهذا المجتمع بالتجنب التام، اتخذت موقفًا انطوائيًا لكف الأذى عن نفسها من وأحكام هذا المجتمع وثرثرته، فقد عُرفت باللامبالاة تجاه الآخرين وارتدت قناعًا تختفي وراءه. رغم أنه قد يراه البعض موقفًا سلبيًا تجاه الجماعة، إلا أنه كان سلاحًا قويًا ضد فضولهم الجارح، فكان تواصلها مع الناس مجاملة فقط دون الاقتراب منهم اقترابًا قلبيًا.

لكن في الفقرة التالية توضيح لسبب من أسباب شدة انطوائية فدوى طوقان على نفسها. هي بطبيعتها شخصية خجولة تفضل الابتعاد عن الآخرين، لكن طبيعة هذا المجتمع وطبيعة تربيتها وبقائها القهري في المنزل دون الخروج إلا بصحبة أهلها، أمها أو عماتها وأخواتها وبنات العم، فلم يكن هناك متنفس غير هذه الزيارات طيلة فترة الثلاثينيات والأربعينيات..

أما المجتمع النسائي، فكان يغلب عليهم أمية العقل، وكان حظهم من التعليم لفئة قليلة من النساء في نابلس، أعلى مستوى في دار المعلمات هو الصف الثاني الثانوي. وعلى الرغم من الدرجة الاجتماعية الأعلى التي حصلت عليها الفتاة النابلسية المعلمة واستقلالها المادي، بل ووصولها لأن تصبح عنصرًا اقتصاديًا مساعدًا للعائلة، إلا أنها لم تتحرر من المفاهيم الاجتماعية المتخلفة والسائدة، بل ظلت ترضخ لسلطة الرجل والتقاليد البالية، رغم تعلمها ومكانتها الاجتماعية

والعلمية، لكنها بررت ذلك بأن درجة تعليم المرأة كانت محدودة جدًا فلم تبلغ مبلغا يغير شخصيتها إلى حد الاستقلال الشخصي والثقة بطاقاتها وإمكانياتها، بل ظلت معتمدة على الرجل، ولم يكن لها الحق في اختيار شريك حياتها، وظلت تحت رعاية الأخ حتى لو كان عاطلًا لا يُرجى منه فائدة لنفسه أو للعائلة أو للمجتمع. أما عن مجتمع المعلمات، فكنَّ على درجة معرفة تختلف عن الأخريات، لكنهن بسبب هذه المكانة تحولت سلوكياتهن إلى الغرور والغطرسة، وانعكس ذلك على شعورهن بالأفضلية والتفوق تجاه الأخريات في المجتمع النسائي الذي يحيط بهن، فانعكس على سلوكياتهن التي عُرفت بالغطرسة والغرور والتخايل بالشخصية، فوضعهن أفضل من غيرهن بكثير، لكن: "في العهد لم يكن يعنيهن تثقيف أنفسهن بالمطالعة الجادة، بل كان اهتمامهن مصبوبًا على الملابس الأنيقة". لذلك لم تكن علاقة فدوى طوقان بهذه الفئة غير قارئة موفقة وغير ودية، وأحيانًا عدائية، فيما عدا واحدة فقط من اللواتي تفردن بالمعرفة والتثقيف للذات، كانت السيدة (فخرية الحجاوي)، معلمتها السابقة في المدرسة العائشية، فكانت تشجعها حينما تقرأ لها في مجلة (الرسالة) المصرية[36].

أما عن وصف تناقضات المجتمع الذكوري تقول: "كانوا يمثلون خير تمثيل جمود الإنسان العربي وعجزه الكلي عن الاحتفاظ بشخصية واحدة غير مشطورة. ظلوا يمثلون انقسام شخصية الإنسان العربي إلى شطرين: نصف مع التطور والتجارب مع روح العصر ومسايرة إيقاعات الحياة المعاصرة، ونصف مشلول الإقدام مسكون بالأنانية المترسبة في نفس الرجل العربي بكل ما فيها من عنجهية شرقية، تلك العنجهية التي ظل يعامل الرجال بوحيها الإناث من ذوي قرباهم... كنت أقف دائمًا موقفًا سلبيًا مستسلمًا تجاه ما يغضب أو يثير فما ملكت يومًا الصوت الجريء لأرفعه أمامهم بالاحتجاج." [37]

في المحظور الاجتماعي هنا تطلق رأيها بكل وضوح عن الشخصية العربية وانقساماتها المتناقضة المتصارعة، (عجزه الكلي عن الاحتفاظ بشخصية واحدة غير مشطورة)، ثم تقول (العنجهية الشرقية). لخصت فدوى طوقان الأمر في كلمتين صائبتين في وصف الرجل العربي بعد حديثها العام عن الشخصية العربية، فالأنانية والنرجسية هما الدافع الأول الذي يحرك الذكور ضد الإناث. يأبى غرورهم أن يجدوا المرأة تساويهم في الحياة والحقوق، وهذا الأمر يعود لعوامل وراثية وتشابكات تاريخية وثقافة وتربية منذ أزمنة بعيدة، فمن الطبيعي أن تواجه محاربتها الكثير من الصعاب، وخاصة من ذوي قرباهم كما تقول، فعلى سبيل المثال موقف الأخ من الأخت وتحكمه في مصيرها كما فعل أخوها وكان السبب في حرمانها من إكمال دراستها في المدرسة العائشية، لكن وعلى الرغم من بوح فدوى طوقان ومساسها جزءًا هامًا وليس بقليل من المحظور الاجتماعي لمجتمعها، لكن عند النظر إليها وإلى نوال السعداوي في وصف المجتمع نجد نوال السعداوي أكثر شراسة وفضائحية تنقل أسرار المجتمع وتناقضاته بكل جرأة، ولعل ذلك الاختلاف يعود إلى طبيعة ودافع كل واحدة منهنَّ في كتابة سيرهنَّ الذاتية وأسلوبهنَّ أيضًا في التعبير عن المحظورات، فنوال السعداوي لديها قدر من الانكشافية الزائدة، بينما فدوى طوقان أكثر محافظة وانتقائية.

رأيها في الحب والعاطفة في المجتمعات الشرقية، تقول: "لقد ظل مجتمعنا العربي الشرقي يظلم عاطفة الحب مثلما ظلم المرأة باستمرار... هذه العاطفة الإنسانية الجميلة في مجتمعنا العربي المصاب بانفصام الشخصية ظلت تحمل معنى محملاً بالفضيحة والعار."[38].

تعرف فدوى طوقان بشاعريتها وروحها الحالمة، لكنها تعرضت لصدمة كبيرة خلال فترة المراهقة حينما دق قلبها لأول مرة والتقطت منه وردة، ثم يراها أخوها

ويمنعها من الذهاب مرة أخرى إلى المدرسة. وتبدأ في الدخول في مرحلة من نبذ اجتماعي من قبل العائلة وشعورها بحرمان شديد من التعليم، بعد أن بدأت تستعيد كيانها وتشعر بمكانتها في المدرسة نظرًا لتفوقها ومحبة المدرسات لها. ونتيجة لهذا، تجد ظلمًا جائرًا في تعامل المجتمع العربي الشرقي مع عاطفة الحب، تساوي بينه وبين الظلم الذي تتعرض له المرأة، وترى أن المجتمع مصاب بانفصام شديد. "بالنسبة لي ظل الحب يحمل مفهومًا أوسع نطاقًا من كونه تأكيدًا لأنوثة المرأة؛ ظل بالنسبة لي تأكيدًا لإنسانيتي المسحوقة وإنقاذًا لها، ولقد بقيت طوال عمري مشدودة إلى الحب، مدفونة بعاطفة شعرية يصعب توضيحها، فكما تستجيب الطيور بصورة غير إرادية لاتجاهات المجال المغناطيسي" [39]، لكنها تعلن وتعترف أن تلك العاطفة لديها ظلت تؤكد معنى آخر ، تؤكد إنسانيتها المسحوقة وتعد منقذًا لها وتعكس رغبتها في الانطلاق والحياة. وهكذا لازالت العاطفة في قلب فدوى طوقان لها بريقها ومكانتها التي لم تكفر بها أبدًا على الرغم من أشكال الكبت المختلفة التي تعرضت لها. فالحديث عن الحب كان محظورًا كبيرًا وخطيرًا في عائلتها، وشكل من أشكال الحرمان الذي تعرضت له، لكنها تصف وجوده بأنه تأكيدٌ لأنوثة المرأة وشاهدٌ على إنسانيتها المسحوقة. وهنا تساوي بين الأنوثة والإنسانية، فكلاهما يتعرضان للسحق من قبل يد السلطة في مجتمعها بأنواعه وأشكاله المختلفة، العام منه والخاص، الذكوري والأنثوي أيضًا.

قد يلحظ البعض الاستفاضة في الحديث عن وجهة النظر في المجتمع في جانب المحظور الاجتماعي لدى نوال السعداوي وفدوى طوقان مقارنة برضوى عاشور ، وذلك لما تفرضه علينا سيرتها الذاتية، التي تتركز حول المحظور الثقافي والسياسي أيضًا. لذا انصب اهتمامي في جانب المحظورات الاجتماعية على كل

من نوال السعداوي وفدوى طوقان، بينما تنصب المحظورات الثقافية أكثر عند رضوى عاشور.

إن التعبير عن المحظور الاجتماعي لا يقتصر على الحياة الخاصة فقط للكاتبة واحتكاكها بالمجتمع، بل يمس صلب المجتمع ذاته وقضاياه، يعكس تاريخ تلك العادات وسلوك المجتمع. فهو بمثابة قراءة ثقافية من النوع الاجتماعي الذي يكشف لك ثقافة وتاريخ تلك المجتمعات. لكن لن يظهر اختلاف في جوهر المجتمعات، بل ستكشف كيف واجهت كل كاتبة مجتمعها الخاص وكيف تعاملت معه وكيف عبرت عنه في سيرتها، وإلى أي مدى أثر بشيء من الوعي على غيرهن من النساء.

عكست بعض النصوص جانبًا من الحياة وطبيعة المجتمع العربي سواء في مصر، أو فلسطين، ولن تجد اختلافًا كبيرًا بينهما على الرغم من اختلاف جوانب النصوص في كل منهما. ففدوى طوقان ركزت على وصف المجتمع النسائي في نابلس، وموقف المجتمع الشرقي من العاطفة والحب، وموقفها هي تجاه كل ذلك الجمود وكيفية تعاملها معهم. أما نوال السعداوي فقد فصلت المشكلة الكبرى في تناقضات سلوك الرجل الشرقي المنتمي للطبقة الأرستقراطية وعلاقة ذلك من منظور سياسي. كما لا نجد اختلافًا بينها وبين سلوك الرجل المتناقض المنتمي للطبقات الأخرى، وموقفها المتمرد الساخط، وانعكاس ذلك على رؤيتها الدينية بعد ذلك في الحياة والسياسية أيضًا.

ولا ينفصل كل ذلك عن الحديث عن دوافع كتابة السيرة الذاتية لدى الكاتبة العربية، وعلاقة ذلك بتأثير وتأثُر المرأة بالمجتمع قبل عزمها على الكتابة وأثناء ذلك. فقد استطاعت المرأة العربية من خلال كتابتها لسيرتها الذاتية في العصر الحديث، أن تحقق أهدافًا لم تسع إلى التعبير عنها في أشعارها قديمًا، ولكن حديثًا

أصبح الدافع الأساسي لكتابة السيرة الذاتية النسوية هو التمرد على الأعراف وكسر القيود والتغلب على جميع الصعاب المتصلة بالواقع من أجل التحرر.

فنجد هذا الباعث يتوغل في الخطاب النسوي على جميع الأصعدة، ويظهر بواقعية في السيرة الذاتية، وهذا ما يميز بين السيرة الذاتية النسائية والذكورية. ذلك لأن المرأة تسعى من خلال سيرتها إلى إعلان ذاتها كامرأة بطريقة تفوق الرجل، لذا يمكننا ملاحظة التحيز الجنسي للسيرة الذاتية النسائية، ويحدث عكس ذلك في السيرة الذاتية الذكورية.[40].

واستنادًا على ما قالته أمل التميمي، مما يميز السيرة الذاتية النسائية بشكل مطلق، يجعلها في جانب متحيز نحو جنسها، وانطلاقًا أيضًا من رأي الغامدي الذي يرى أنه مثلما للسيرة الذاتية الغربية دوافعها الخاصة، كذلك الأمر بالنسبة للسيرة الذاتية العربية القديمة دوافع خاصة نابعة من التراث العربي الإسلامي. كذلك الحال، فإن للسيرة الذاتية النسائية دوافعها الخاصة التي تختلف عن الدوافع العامة التي يشترك فيها السيرة الذاتية الذكورية من حيث وجود دافع عام وهو التمرد على الأعراف وكسر القيود والتغلب على جميع الصعاب المتصلة بالواقع من أجل التحرر، ودافع ذاتي هو التعبير عن ذلك من خلال تجربتها الخاصة، وإثبات وجودها على الساحة الأدبية من خلال المساهمة بسيرتها في جنس أدبي له خصوصيته وأهميته.

-نتائج البحث-

- الدافع الأساسي لكتابة طوقان سيرتها الذاتية كان إثبات موهبتها والعثور على معنى لذاتها. وعلى صعيد آخر، كانت وسيلة لنقل تجربة شديدة الصعوبة والقسوة للقراء، لإيمانها بأهمية وتأثير تجارب البشر على بعضهم البعض.

– قدمت فدوى طوقان ونوال السعداوي تحليلاً للعادات والتقاليد التي تكبل المرأة، وأبرزت جزءًا من الذاكرة الثقافية للمجتمع.

– كانت دوافع عاشور تتمحور حول رغبتها في تسجيل التاريخ الشخصي والجماعي، مع التركيز بشكل خاص على التجارب النسائية خلال الأحداث السياسية المهمة في مصر.

– سلطت الضوء على كيفية تأثير السياسات الوطنية والصراعات على حياة الأفراد، خاصة النساء، واستخدمت سيرتها الذاتية كمنبر لمناقشة القضايا المسكوت عنها مثل الحقوق السياسية للمرأة.

– كانت دوافع السعداوي تتعلق بالدفاع عن حقوق المرأة وبالتحدي الصريح للمعايير الاجتماعية التي تقيد المرأة. استخدمت الكتابة كأداة للتحريض والتغيير الاجتماعي.

– أصبح الدافع الأساسي لكتابة السيرة الذاتية النسوية هو التمرد على الأعراف، وكسر القيود، والتغلب على جميع الصعاب المتصلة بالواقع من أجل التحرر.

– عبرت في كتاباتها عن رفضها للعديد من المحظورات الاجتماعية والثقافية، ودعت إلى تحرير المرأة من القيود الأبوية.

– هناك علاقة وثيقة بين دافع كتابة السيرة الذاتية لدى النساء والتعبير عن كل الممنوعات والمحظورات والمعوقات التي شكلت معاناة لهن خلال مسيرة حياتهن في إطار اجتماعي أو سياسي أو ديني، لكل منهن نوع محظور خاص هو المسيطر على سيرتهن بحسب المعاناة والهدف.

–الهوامش–

1-يُنظر، واعمر لمياء، إشكالية ترجمة المحظور في الرواية الجزائرية بين الحذف والتلطف، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 33 عدد 4، ديسمبر 2022، صفحة191.
2-يُنظر، يحيي عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي لبنان، صفحة 35،34،33.
3-يُنظر، أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، الطبعة الأولي، 2005، الدار البيضاء-المغرب، الصفحة 117.
4-أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، الطبعة الأولي، 2005، الدار البيضاء-المغرب، الصفحة 117.
5- يُنظر، جورج ماي، السيرة الذاتية، تعريب أ/ محمد القاصي، عبد الله صولة، دار رؤية للنشر والتوزيع 2017، الطبعة الثانية، صفحة 70.
6- يُنظر، أنا الراوي في السيرة الذاتية الفلسطينية، دراسة مقارنة في ثلاث سير، جبرا براهيم جبرا، فدوي طوقان وحنا أبو حنا، كلبة الآداب، جامعة حيفا. صفحة 10
7- يُنظر، جورج ماي، السيرة الذاتية، تعريب أ/ محمد القاصي، عبد الله صولة، دار رؤية للنشر والتوزيع 2017، الطبعة الثانية، صفحة 48.
8- أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، الطبعة الأولي، 2005، الدار البيضاء-المغرب، الصفحة 124
9-يُنظر، أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، الطبعة الأولي، 2005، الدار البيضاء-المغرب، الصفحة 124.
10- المرجع السابق.
11- نوال السعداوي، أوراقي حياتي الجزء الأول، مؤسسة هنداوي، صفحة 14.
12- أوراقي حياتي، نوال السعداوي، الجزء الثاني، مؤسسة هنداوي، صفحة 14
13- المرجع السابق، الجزء الثاني، صفحة 16
14- المرجع السابق، الجزء الثاني، صفحة 17
15- المرجع السابق، الجزء الثالث، صفحة 110
16- المرجع السابق، الجزء الأول، صفح 14.
17-المرجع السابق، الجزء الثالث، صفحة 140.
18-يُنظر، أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، الطبعة الأولي، 2005، الدار البيضاء-المغرب، الصفحة 126.
19-يُنظر، المرجع السابق.
20- يُنظر، ترجمة سها السباعي، قراءات في أعمال نوال السعداوي، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولي 2017، صفحة 164،163.
21- أوراقي حياتي، نوال السعداوي، مؤسسة هنداوي، الجزء الثالث، صفحة 73.
22-المرجع السابق.
23- المرجع السابق، صفحة 74
24- يُنظر، أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، الطبعة الأولي، 2005، الدار البيضاء-المغرب، الصفحة 126.
25- يُنظر، المرجع السابق، صفحة 127.
26- فدوي طوقان، رحلة جبلية رحلة صعبة، دار الشروق للنشر والتوزيع، صفحة 9.

27- المرجع السابق.
28- المرجع السابق.
29- المرجع السابق، صفحة 10
30-المرجع السابق.
31- المرجع السابق.
32-فدوي طوقان، رحلة جبلية رحلة صعبة، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1985، صفحة114.
33-المرجع السابق، صفحة 115.
34-المرجع السابق، صفحة 116.
35- المرجع السابق، صفحة 116.
36-المرجع السابق.
37- المرجع السابق، 97.
38-المرجع السابق، صفحة 139.
39-المرجع السابق.
40-أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، الطبعة الأولي، 2005، الدار البيضاء-المغرب، الصفحة 117.

قائمة المصادر والمراجع.

1- أ.د/ أيمن تعليب، من تناص النصوص إلى تناص الحضارات، مؤسسة نجلاء محرم الثقافية، (مركز نهر النيل للنشر)، الطبعة الأولي، 2010م.
2- إبراهيم عبد الله شحادة، الأنا الراوي في السيرة الذاتية الفلسطينية، دراسة مقارنة في ثلاث سير، جبرا إبراهيم جبرا، فدوي طوقان، حنا أبو حنا، جامعة حيفا 2019م.
3- إحسان عباس، فن السيرة، الجامعة الأمريكية، دار الشروق عمان، الطبعة 1، 1996م.
4- أدب السيرة الذاتية، الدكتور عبد العزيز شرف، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، دار نوبار للطباعة، 1992م.
5- أسامة الدندراوي، الأسرار البلاغية لآيات الأحوال الشخصية وأثرها في الأحكام الفقهية، جامعة السويس، 2023م.
6- إسراء سالم موسي الخزاعي، السيرة الذاتية في جهود الدراسين العرب، رسالة دكتوراه، 2017م.
7- الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، للدكتور محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الأولي، 1993م.

8- أمل تميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، السعودية، 2005م.
9- ترجمة سها السباعي، قراءات في أعمال نوال السعداوي، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولي 2017.
10- التمرد في السرد السير ذاتي النسائي العربي المعاصر، سيرة نوال السعداوي أنموذجا، ط/ زواش رحمة، جامعة السانيا، وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، 2012م.
11- جورج ماي، السيرة الذاتية، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2017م.
12- حاتم الصكر، أقنعة السيرة الذاتية وتجلياتها البوح والترميز القهري في الكتابة السير-الذاتية، دار أزمنة، عمان، الأردن،2017م
13- د/ مصطفي حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور، الدار البيضاء المغرب، الطبعة التاسعة 2005م
14- زواش رحمة، التمرد في السرد ذاتي النسائي العربي المعاصر، سيرة نوال السعداوي أنموذجا، كلية الآداب واللغات والفنون جامعة السانيا.
15- السيرة الذاتية في الأدب العربي، فدوي طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجًا، تهاني عبد الفتاح شاكر، دار الفارس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، 2002م.
16- سيرة الغائب، سيرة الآتي، السيرة الذاتية في كتاب لطه حسين، شكري المبخوت، دار النوب للنشر، تونس.
17- سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولي وشاعر الأميرات، خليل شكري هياس، منشورات اتحاد المتاب العرب، دمشق، 2001م.
18- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الثانية، 1984م.
19- غراء مهنا، السيرة الذاتية في صيغة المؤنث، ألف 22، 2002م.
20- فاتن مرسي، المنديل المعقود، دراسات في أعمال رضوى عاشور، دار الشروق، الطبعة الأولي 2016م.
21- الفيروز أبادي: القاموس المحيط مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، مادة سير، 1987م.
22- فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994م.

23- كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية، الدكتور/ صالح معيض الغامدي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولي، 2013م.
24- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار المعارف – 1119 -كورنيش النيل القاهرة، ج.م.ع، طبعة جديدة.
25- مجلة الثقافة العربية، سيرة كتب السير، العدد 531، ديسمبر 2020م.
26- محمد عمارة، الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي 2007.
27- مرتضي الزبيدي، تاج العروس من القاموس جواهر، مادة (سير)، مكتبة الحياة، بيروت لبنان د 1، 2003م.
28- معجم المصطحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، الطبعة 2.
29- المغانرة الجمالية للنص الأدبي، دراسة موسوعية، محمد صابر عبيد، دار لبنان ناشرون، بيروت، طبعة 2012م.
30- مؤمنة حمزة عبد الرحمن عون، أطياف ما بعد الحداثة في نص السيرة الذاتية أثقل من رضوى في الميزان، دار الكتب المصرية، العدد العشرين 2016م.
31- نوال السعداوي، عن المرأة والدين والأخلاق، مؤسسة هنداوي.
32- هالة كمال، كتاب الذات والوطن في مذكرات رضوى عاشور، المنديل المعقود، دراسات في أعمال رضوى عاشور، تحرير وتقديم/ فاتن مرسي، دار الشروق، الطبعة الأولي 2016م.
33- يعقوب ناصر حسن عيد 2015، قراءة في السيرة الذاتية لفدوى طوقان، المحلة العلمية لجامعة الملك فيصل العلوم الإنسانية والإدارية، مجلة 16، ع2.